CC BY NC SA

جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

مقياس: الميتافيزيقا

الدرس التاسع

الميتافيزيقا والأخلاق

الأستاذ المدرس

الاسم واللقب	الرتبة	الإيميل
عقبة جنان	أستاذ	okba.djenane@univ-biskra.dz

الطلبة المعنيون

القسم	السنة	التخصص
العلوم الإنسانية والاجتماعية	3 ليسانس	فلسفة

مخرجات الدرس:

يتعرّف الطالب على كيفية ارتباط الأخلاق بالميتافيزيقا من خلال مفاهيم مثل الحرية، الذات، الغاية، والواقعية الأخلاقية. ويفهم كيف أعادت الفلسفة الحديثة والمعاصرة صياغة العلاقة بين القيم وبنية الوجود الإنساني. كما يصبح قادراً على التمييز بين أسس النظريات الأخلاقية من منظور أنطولوجي وفلسفي معاصر.

المقدّمة

تُعدّ العلاقة بين الميتافيزيقا والأخلاق من أعمق العلاقات في تاريخ الفلسفة. فكل نظرية أخلاقية تقريباً تستند إلى تصوّر معيّن للوجود، والإنسان، والحرية، والغاية؛ وهي جميعها مباحث ميتافيزيقية.

فلا يمكن الحديث عن مسؤولية أخلاقية دون فهم طبيعة الإنسان (Human Nature)، ولا عن واجب دون تحديد مفهوم الخير (the Good)، ولا عن قيمة العمل دون سؤال: هل يملك الإنسان حرية الإرادة؟

لذلك أصبحت الميتافيزيقا إطاراً عميقاً يؤسّس الأخلاق، وفي الوقت نفسه تسعى الأخلاق إلى اختبار هذا الإطار وتحديد حدوده.

تهدف هذه المحاضرة إلى بيان:

- كيف أثّرت الميتافيزيقا في بناء النظريات الأخلاقية عبر التاريخ؟
- كيف أعادت الفلسفة الحديثة والمعاصرة صياغة العلاقة بين الوجود والقيمة؟
- كيف ترتبط قضايا مثل الحرية، والمسؤولية، والواجب، والخير، بطبيعة الكائن الإنساني؟

I . الميتافيزيقا كأساس للأخلاق في الفلسفة الكلاسيكية

1. أفلاطون: الخير كمبدأ ميتافيزيقي أعلى

- يرى أفلاطون أن الأخلاق لا تفهم إلا عبر الميتافيزيقا، لأن الخير هو فكرة (Idea of the Good) تتجاوز العالم الحسي.
- الخير مبدأ كوني يضفي على الأشياء النظام والمعنى.
- السلوك الأخلاقي هو محاولة لمحاكاة هذا النظام الأعلى.
- وبذلك تصبح الأخلاق امتداداً لميتافيزيقا المثل.

2. أرسطو: الطبيعة الإنسانية أساس الفضيلة

- ربط أرسطو الأخلاق بالميتافيزيقا من خلال تصوّره للإنسان ككائن عاقل.
- للإنسان غاية طبيعية (Telos).
- الفضيلة هي تحقيق هذه الغاية عبر العقل.
- إذن الأخلاق تقوم على فهم جوهر الإنسان (Substance) ومكانته في الوجود.

II . الأخلاق والميتافيزيقا في الفلسفة الحديثة

1. ديكارت: حرية الإرادة كقضية ميتافيزيقية

- اعتبر ديكارت أن الإرادة البشرية لامتناهية نسبياً، وهي الأساس في المسؤولية الأخلاقية.
- الحرية ليست خاصية فيزيائية بل ميتافيزيقية.
- الإنسان مسؤول لأنه «مريد» و«عالِم».

2. كانط: الأخلاق كميتافيزيقا العقل العملي

- انطلق كانط من سؤال ميتافيزيقي: ما معنى أن يكون الإنسان كائناً حراً؟
- ثم بنى الأخلاق على هذا الأساس:
- الحرية هي شرط إمكان الأخلاق (Condition of Morality).
- الواجب الأخلاقي (Moral Law) نابع من العقل لا من الطبيعة.
- أصبحت الأخلاق عنده «ميتافيزيقا للأخلاق»، أي بحثاً في مبادئ العقل العملية (Metaphysics of Morals).

3. سبينوزا: الضرورة الكونية والأخلاق

- يرى سبينوزا أن الوجود واحد (Substance Monism)، والإنسان جزء من نظام ضروري.
- الحرية ليست نقيض الضرورة، بل فهم الضرورة.
- الأخلاق هي العيش وفق «العقل» في انسجام مع النظام الكوني.

III. الميتافيزيقا والأخلاق في الفلسفة المعاصرة

1. الوجودية: الأخلاق بلا ميتافيزيقا ثابتة (Sartre)

- يرى سارتر أن الوجود يسبق الماهية؛ فلا طبيعة محددة للإنسان.
- الأخلاق ليست مبنية على جوهر ثابت.
- الإنسان يخلق قيمه عبر أفعاله.
- لكن هذا يضعه أمام مسؤولية مطلقة تجاه العالم والآخرين.

2. هايدغر: الوجود كأساس لفهم القيم

- لا يفصل هايدغر بين الأخلاق والأنطولوجيا، فالسلوك الأخلاقي مرتبط بـ كيفية وجود الإنسان في العالم (Being-in-the-World).
- الأخلاق تجربة وجودية قبل أن تكون قواعد.
- الأصالة (Authenticity) هي أساس القيمة.

3. الأخلاق التحليلية: الو اقعية الأخلاقية والأنطولوجيا

- ناقش فلاسفة التحليل قضية: هل للقيم وجود موضوعي؟
- الواقعية الأخلاقية (Moral Realism): القيم موجودة بطريقة موضوعية.
- اللاواقعية: القيم أحكام أو انفعالات.
- تظهر هنا أسئلة ميتافيزيقية مثل:
- هل الخير «خاصية» في العالم؟ أم مجرد دلالة لغوية؟

4. العقلانية العملية عند راولز

- لم يعد السؤال: ما طبيعة الخير؟
- بل: ما الشروط العقلانية لقيام عدالة مشتركة بين البشر؟
- انتقل التركيز من ميتافيزيقا الجوهر إلى ميتافيزيقا المؤسسات والعدالة.

5. الأخلاق النسوية وما بعد الاستعمار

تربط هذه الاتجاهات بين الميتافيزيقا والبنى الاجتماعية:

- ما معنى «الذات»؟
- من يحدد القيم؟
- هنا تصبح الميتافيزيقا مرآة لأنظمة القوة والمعنى.

IV. إشكالات ميتافيزيقية مركزية في الأخلاق

1. مشكلة الحرية والحتمية

- هل الإنسان حر أم خاضع لحتميات بيولوجية ونفسية وكونية؟
- الحتمية تؤثر في مفهوم المسؤولية.
- الحرية شرط للمحاسبة الأخلاقية.

2. طبيعة الذات الأخلاقية

- هل الذات جوهر (Substance)؟
- أم سلسلة وعي متغير (Hume)؟
- هذا يحدد طبيعة الهوية والمسؤولية.

3. طبيعة القيم

- هل القيم حقائق في العالم (Realism)؟
- أم إنشاءات بشرية (Constructivism)؟
- أم تفضيلات عاطفية (Emotivism)؟

4. الغاية والمعنى

- هل للإنسان وظيفة جوهرية؟
- أم أن الحياة بلا غاية، ويمنحها الإنسان معناها الخاص؟

الخاتمة

نستنتج أن الأخلاق لا يمكن فصلها عن الميتافيزيقا؛ فكل نظرية أخلاقية ترتكز على نموذج أنطولوجي معين للإنسان والعالم. ومع الفلسفة المعاصرة، تغيّرت العلاقة بينهما من تأسيس مباشر إلى علاقة نقدية، حيث أصبحت الأخلاق مجالاً لتفكيك الصور التقليدية عن الذات والحرية والواجب.

وبقي السؤال مفتوحاً:

هل يمكن قيام أخلاق بغير ميتافيزيقا؟

أم أن كل بحث في "ما ينبغي أن يكون" يفترض مسبقاً تصوراً عن "ما هو موجود"؟

المراجع المقترحة

عربية

إمام عبد الفتاح إمام، **الأخلاق بين الفلسفة والعلم**.

طه عبد الرحمن، **سؤال الأخلاق**.

عبد الله العروي، **مفهوم الحرية**.

فضل الرحمن، **الإسلام وضرورة الإصلاح** (يحتوي نقاشاً حول الأخلاق والميتافيزيقا).

أجنبية

Immanuel Kant, Groundwork of the Metaphysics of Morals.

Baruch Spinoza, Ethics.

John Rawls, A Theory of Justice.

Charles Taylor, Sources of the Self.

Alasdair MacIntyre, After Virtue.

Peter Strawson, Freedom and Resentment.

Heidegger, Being and Time (sections on authenticity).